

إحصائيات وتحليلات

الصوفية في الشيشان: مسح تحليلي للبنية الطرقية والمؤسسات الدينية

لجنة بحوث مجلة مدارك

تعدّ الشيشان من أكثر أقاليم شمال القوقاز ارتباطًا بالإسلام «الطريقي»؛ إذ تميل الغالبية إلى صيغ صوفية محلية، تتمحور حول الطريقة القادرية والطريقة النقشبندية، وتتفرع داخلهما كيانات أصغر تُعرف في السياق الشيشاني باسم الأوراد/الأفرع (virids)، وهي جماعات انتسابٍ روحي واجتماعي، لها شيوخٌ وسلاسلٌ ومجالسٌ ذكرٍ ومواضعٌ زيارةٍ (زيارات/زياراتات).

1) عدد الطرق الصوفية وأبرزها

الطرق الكبرى الحاضرة في الشيشان اثنتان أساسًا:

القادرية (Qadiriyya): تُقدّم غالبًا بوصفها الغالبة في الشيشان، وترتبط شعبيًا باسم الشيخ كونتا حاجي كُشيف وتياره المعروف بـ«الذكر الدائري الجهري» في الذاكرة الدينية المحلية.

النقشبندية (Naqshbandiyya): حضورها قائم، وتشكل داخلها أوراد/ أفرع محلية ذات وزن اجتماعي.

أما على مستوى «الفرق / الأفرع» داخل الطرق فالمشهد أكثر تركيبيًا؛ إذ لا يقتصر على فرع واحد

موحد، بل يتجزأ إلى أوراد متعددة. وتشير بعض الدراسات إلى وجود «حركات / تجمعات دينية» عديدة داخل الشيشان المعاصرة، بما يتجاوز مجرد اسم الطريقة الكبرى.

2) تقديرات عن عدد الأفرع والتنظيمات الصوفية

لا توجد إحصائية رسمية واحدة متداولة ومتفق عليها لعدد الأوراد داخل الشيشان وحدها، لكن يمكن تثبيت مؤشرين مهمين من مصادر بحثية / تحليلية:



حديثٌ عن وجود عدد كبير من الحركات / التجمعات الدينية في الشيشان المعاصرة، مع إبراز دور كونتا حاجي في تشكيل أحد أهم هذه التيارات.

وفي سياقٍ قوقازيٍ أوسع، وثّقت مراكز بحثية انعقاد مجلسٍ كبير في غروزني سنة 2016 ضم ممثلين أربع وعشرين «فصيلًا / فرعًا» من أخويات صوفية (من القادرية والنقشبندية) من الشيشان وداغستان وإنغوشيا؛ وهو رقم لا يساوي «عدد طرق الشيشان»، لكنه يكشف درجة التفريع الداخلي واتساع شبكات التمثيل الطرقي في المجال القوقازي.

(3) أبرز الشخصيات الصوفية المرتبطة بالمشهد الشيشاني

عند الحديث عن «الأبرز» تاريخيًا واجتماعيًا، يظهر اسمان يتكرران في الأدبيات: الشيخ كونتا حاجي كُشيف (Kunta-Haji Kishiev): يُقدّم في مصادر عديدة باعتباره من أكثر الرموز تقديسًا وشيوعًا، وأن «الوزد» المنسوب إليه يستحوذ على الكتلة الأوسع من المنتسبين في الشيشان.

الشيخ دني أرسانوف (Deni Arsanov): يُذكر بوصفه من رموز النقشبندية في المجال الشيشاني / الإنغوشي، وأن وزده يأتي تاليًا في الانتشار وفق بعض التقديرات الوصفية.

ومهمٌّ هنا التنبيه: الحديث عن «الأبرز» لا يعني توحيد البنية الصوفية تحت زعامة واحدة؛ فالمشهد قائم على شبكات أوراد وعائلات دينية ومجالس ذكر، لا على هرمٍ إداري واحد.

(4) المقامات والأضرحة ومواضع الزيارة: ما الذي يمكن تثبيته رقمًا؟

العدّ الرقمي الدقيق للأضرحة / المقامات في الشيشان غير متاح بصورة منشورة وموحدة في المصادر المفتوحة التي تم الإطلاع عليها؛ لذلك لا يصح اختلاق رقم شامل. لكن يمكن تثبيت حقائق قابلة للتوثيق:

- تذكر تقارير بحثية أن لكثير من مؤسسي الأوراد في الشيشان وإنغوشيا مواضع زيارة / أضرحة (ziyarats) تُزار بانتظام، بما يوحي بكثرة هذه المواضع وانتشارها مع انتشار الأوراد.
- من أشهر أمثلة مواضع الزيارة الموثقة: «خيدي-زيارت» (قبر/مزار والدة كونتا حاجي) في قرية إرتان بمنطقة فيدينو الجبلية، ويُذكر أنه يستقبل أعدادًا كبيرة من الزوار في مناسبات سنوية.
- كما تُذكر ممارسة سياسية / رمزية لزيارة «الزياراتات»؛ إذ رُصدت جولات لقيادة الإقليم إلى عدة قبور / مزارات في قرى مختلفة ضمن ما يُسمّى «زياراتات» لأعلام دينيين محليين.
- الخلاصة المنهجية في هذا البند: يمكن وصف الظاهرة ومراكزها الأشهر، لكن لا يمكن تقديم رقم إجمالي موثوق لعدد المقامات والأضرحة دون إحصاء رسمي منشور أو دراسة ميدانية رقمية صريحة.

5) المؤسسات الصوفية الرسمية وشبه الرسمية والتعليم الديني

في الشيشان بنية مؤسسية دينية واضحة حول المفتية (الإدارة الدينية لمسلمي الشيشان)، وهي تُعد المظلة التنظيمية الرسمية للعمل الديني. وتورد بعض المصادر أرقامًا تفصيلية ضمن نطاق عملها، من أهمها:

عدد المساجد: تُذكر أرقام كبيرة؛ منها ما يزيد على الألف مسجد. وتوجد فوارق بين المصادر: فبعضها يورد رقمًا في حدود (نحو 1080 مسجدًا)، بينما يورد مصدر آخر رقمًا أعلى (نحو 1461 مسجدًا «عاملة» في 2024) مع ذكر مساجد «قيد الإنشاء». اختلاف الأرقام يُحتمل أن يعود لاختلاف سنة الإحصاء، أو تعريف «المسجد العامل»، أو احتساب المصليات/الملاحق.

التعليم الديني: تُذكر مدارس شرعية / مدارس دينية (madrasas) بعدد محدد في بعض المصادر (مثل 18 مدرسة)، إضافةً إلى مؤسساتٍ للتعليم العالي ضمن البنية الدينية الرسمية.

ومن أبرز مجتمعات البنية الدينية في العاصمة غروزني: مجمع "قلب الشيشان" الذي يضم المسجد الكبير ومرافق دينية / إدارية وتعليمية، ويُذكر ضمنه وجود جامعة / معهد إسلامي يحمل اسم كونتا حاجي إلى جانب مباني الإدارة الدينية.

6) قراءة تحليلية مختصرة: ماذا تقول الأرقام؟

الهيمنة الطرقيّة ليست مجرد خيار فردي، بل بنية اجتماعية تتغذى من: كثافة المساجد، وانتشار التعليم الديني، وشبكة الأوراد، ومواقع الزيارة.

التفرع الداخلي (الأوراد/الفصائل) يجعل السؤال عن "عدد الطرق" وحده سؤالاً ناقصاً؛ لأن الواقع الأشد تأثيراً هو عدد الأفرع وشبكاتها المحلية.

الفجوة الإحصائية الكبرى ليست في المساجد والتعليم (الأرقام أقرب للتوثيق)، بل في: عدد الزوايا / مجالس الذكر، وعدد الأضرحة / المزارات، وعدد المؤسسات غير الرسمية؛ وهذه تحتاج عادةً إلى مسح ميداني أو سجلات داخلية لا تُنشر عامًا.



المصادر:

- تقرير: "Islam as an Instrument of Russia's Colonial Policy"، مع الإشارة إلى أرقام المساجد العاملة في الشيشان سنة 2024 والمساجد قيد الإنشاء. صفحة "Spiritual Administration of the Muslims of the Chechen Republic" وما ورد فيها من أرقام: عدد المساجد والمدارس الدينية ومؤسسات التعليم العالي.
- تقرير OSW عن اجتماع غروزني (2 فبراير 2016) وذكر "أربع وعشرين فصيلة/فرقة" من أخويات صوفية من القادرية والنقشبندية في الفضاء القوقازي.
- وثيقة اليونسكو "The Diversity of the Chechen culture" وفيها الإشارة إلى انتشار وُرد كونتا حاجي وذكر وُرد دني أرستانوف ضمن النقشبندية.
- تقرير "Chechen Scholars on Chechnya" وفيه الإشارة إلى وجود "زيارات" (مزار/ضريح) يكاد يوازي كل مؤسس لوزد في الشيشان وإنغوشيا.
- تقرير "Caucasian Knot" حول زيارة "خيدي-زيارت" (قبر والده كونتا حاجي) بقرية إرتان وفكرة الحج الشعبي إليه.
- تقرير Jamestown عن جولات زيارة "الزيارات" وذكر عدد من القبور/المزارات التي زارتها قيادة الإقليم في قرى محددة.
- مادة RBTH عن مجمع مسجد "قلب الشيشان" وذكر وجود جامعة/مرافق إدارية ضمن المجمع.